حول « أغنية السودان »

للأستاذ على متولى صلاح

تحمد لمحطة الإذاعة اختيارها — الفينة بعد الفينة — إحدى روائع شوقى الخالدات لتغنى على الناس فى مناسبة عابرة أو ظرف قائم أو لمقتضى حال يجب أن يقال فيه ما يطابقه .

وقد أحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « نكبة دمشق » التى مطلعها « سلام من صبا بردى أرق » ، وأحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « ذكرى المولد » التى مطلعها « سلوا قلبى غداة سلا وتابا » ولو أنها أضافت إليها — توهما منها أن ذلك يجعلها أدنى إلى المناسبة القائمة وأكثر مطابقة لمقتضى الحال — ما كان منها كالرقمة الرخيصة فى الوشى الثمين ، ولو لم تفعل لتمت المطابقة دون حاجة إلى هذا التكلف !

وأحسنت المحطة الصنيع أيضاً حين اختارت — فى الأسبوع المنصرم — قصيدته « شهيد الحق » التى مطلعها « ألام الخلف بينكما إلاما » التى قيلت بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم الزعيم مصطفى كامل ، وأطلقت عليها اسم « أغنية السودان » ! ...

ونحن نشكر للمحطة جاهدين أن تختار الشعر العالى ، ونودّ لو أنها تتحلل يوماً بعد يوم من هذا الهذر والسخف الذى تنطق به حناجر بعض المغنين فيها ، وأن تترك هذه الأغنيات الرخيصة السائمة التى تتسرب إلى نفوس الناس سماً وفساداً وانحلالا ... غير أننا ونحن بصدد الحديث عن اختيارها لقصيدة « شهيد الحق » نريد أن نبصرها بأمور كانت حرية أن تتجنبها ، وليكون ذلك دستوراً لها إن أرادت حقاً أن يغنى بها شعر رفيع عال كهذا الذى تختاره من شعر شوقى ، وإن ذلك لجدير — فى المستقبل — أن يُعفيها من كل لوم ، وأن يجنبها كل زلل ، ويوقيها كل عثار .

١ — فنحن لانفهم أولا كيف تعدو المحطة على التاريخ الأدبى والتاريخ السياسى فتنحرف بالقصيدة عن الغرض الذى قيلت فيه وتخرجها عما إليه قصد منشئها ، ثم تعدو بذلك على ذكرى غالية لزعيم وطنى من طراز قلّ أن يوجد بين الزعماء ؟؟ ثم تسميها عنوة واقتداراً « أغنية السودان » وما بها صلة بالسودان إلا أنه ذكر فيها مرة !! ولقد كان للمحطة معدى عن ذلك لو أنها تمهلت قليلاً فى الاختيار ، أو وكلته إلى أهل الذكر فى الأدب الذين يعرفون قول الذى قال : —

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره !

كان لها معدى عن ذلك باختيار شعر آخر أو قصيدة أخرى لشوقى ، وله فى الوطنية شعر كثير ، أو لحافظ وله قصائد متفرقة تفيض وطنية وحثاً على الاتحاد والائتلاف وتنديداً بالفرقة والاختلاف ، ولكن محطة الإذاعة راقها مطلع القصيدة « ألام الخلف بينكمو إلاما » وملك عليها أمرها فلم تجد عنه منصرفا !

تعال إلى هؤلاء وانظر إلى ما يقولونه .

تعال لتسمع القصة من أفواههم ، ولتلمس أفكارهم ، وتسبر غور أنفسهم ، ولتعلم بم يفكرون ؟ .

إننى لأقسم لك إنهم يفكرون فى قضايا بلادهم ، بلادهم بالمعنى الشامل الواسع ، البلاد العربية : مصر ، الشام ، فلسطين ، شمال أفريقيا .

وفى هذه الأيام يحل الوفد السودانى ضيفاً على العراق . فهل تعلم ما كان فى نفس كل عراقى ؟ .

لقد كانت فى نفوسنا أحاديث قلبية نريد أن نبلغها .

لقد كانت قلوبنا تخفق ، وشفاهنا ترتجف ، وعيوننا تبتسم ، ونفوسنا فى هزة من الشوق .

لقد كانت فى قلب كل عراقى كلمات يودّ أن يبلغها إلى الوفد السودانى الكريم قائلا : يا إخواننا فى وادى النيل إننا نؤيدكم من صميم قلوبنا ، وناصركم بأرواحنا ، ونهتم بقضيتكم اهتمامنا بقضيتنا بل أكثر منها ... إن الجراح التى تحسونها فى بلادكم نشعر بها ونتألم لها ... إننا صوت واحد ، صوت قلبىّ يصرخ فى وجه المعتدى الأثيم : تباً لك من وغد ، هذه الأرض أرضنا نريق من أجلها دماءنا ... فلا تصدقوا ما يقوله عنا المستعمرون .

وفى النهاية نصرخ صرخة الشاعر العراقى :

أبشرى ياطلعة الوادى الأمين ... جاءك الأبطال بالنصر المبين

قد سمعنا عنك ما روعنا ... فأتيناك أسوداً لا تلين

بغداد غائب طعمة فرمان

على أننا لا نفهم كيف أسمتها قصيدة « السودان » وأعاب أبياتها التي غناها عبد الوهاب موجهة إلى « شهيد الحق » مصطفى كامل وكيف يوفق ساموها بين عنوانها هذا وبين تلك الأبيات ؟؟

٢ — على أن المحطة وهي تريد الدعوة إلى الائتلاف والاتحاد أغفلت الأبيات التي تؤدي إلى ذلك وتدعو له في القصيدة لأسباب يعلمها الله وحده ! وإلا فهل أدل على هذا الذي تهدف المحطة إليه من قول شوقي : —

لقد صارت لكم حكما وغنما ... وكان شعارها الموت الزؤاما
وثقتم واتهمتم في الليالي ... فلا ثقة أدمن ولا اتهاما

ومن قوله : —

وكانت مصر أول من أصبتم ... فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الرماة رماة سوء ... أحلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وصف ... كأنياب الغضنفر لن يراما
تباغيتم كأنكمو خلايا ... من السرطان لا تجد الفداما ؟

ومن قوله وقد يكون فيه دعوة واضحة صريحة إلى أن يكون الحكم في أيدي الأحزاب جميعاً متحدين مؤتلفين : —

ولينا الأمر حزباً بعد حزب ... فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا ... ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسسنا الأمر حين خلا إلينا ... بأهواء النفوس فما استقاما !

ولكن لأمر ما أغفلت المحطة كل ذلك ...

٣ — كان التلحين الذي غناها به محمد عبد الوهاب بعيداً غاية البعد عن المعنى المنشود ، لقد كان هذا اللحن أبعد شيء عن معاني الوطنية والاستنهاض والدعوة السريعة العاجلة إلى الاتحاد والتهكم اللاذع — بالموسيقى اللاذعة — بهذا الاختلاف وتلك الفرقة ، والمناداة العالية برأب الصدع ، واللهفة الحارة إلى جمع الشمل ... ما أحسست والله وأنا أسمعها إلا بأنين وحشرجة وخفوت ونوم واحتضار !!

فرفقاً بالأدب العالي والموسيقى العالية يا محطة الإذاعة .

علي متولي صلاح

ظهر حديثاً كتاب :

فصوص الحكم

لمحي الدين بن عربي

والتعليقات عليه

للدكتور أبو العلا عفيفي

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

والكتاب من جزءين في ٦٠٨ صفحة من القطع الكبير ، يحتوي الجزء الأول منه على متن الفصوص محققاً مراجعاً على ثلاث من أقدم مخطوطاته ، وعلى تصدير مطول يشرح منزلة الفصوص ومذهب ابن عربي فيه ، ويحتوي الجزء الثاني على تعليقات مسهبة تشرح غوامض وتبرز أهم نواحي فلسفة ابن عربي الصوفية كما استخلصها المؤلف من كتاب الفصوص وشروح المتن العديدة ، ومن غير الفصوص من كتب ابن عربي المطبوعة والمخطوطة .

ثمن النسخة الواحدة ٦٠ قرشاً صاغاً عدا البريد

يطلب من دار إحياء الكتب العربية

لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر — ت ٥٠٨٥٦